باب المراسلة والمناظرة

اعتراض على سبنسر

سيدي الفاضل

لا أراكما تملاّن من جسارة هذا الداعي في انتقاد ما يرد في مقتطفكما الزاهر لان غرضكما فيهِ تمحيص الحقائق . لا سيما وقد تقلتم عن الفيلسوف سبنسر وهو معروف القدر عند اهل الخافقين فورود الخطإ عنهُ يؤثر في الآخرين لحلولهِ فيهم محل اليقين . فألتمس ان تأذنوا بنشر هذه السطور في مجلتكم الزهية خدمةً للحقيقة واصلاحاً لما ورد في كلام الفيلسوف سبنسر من الخطإ ولكم الشكر سلفاً

قال الفيلسوف في صفحة ٨٣٣ من مقتطف هذه السنة ما نصهُ

" خذ العبرانيين مثلاً فانهُ بعد ان قطع سيهم اسباب الشحناء المتعصبة التي كانت تملأ صدورهم وهم في حالة البداوة . وبعد ان انتهت حروبهم وفتوحهم التابعة بزمان ساد فيهِ السلام — ظهرت عواطف الغيرية في كتاباتهم وقوانينهم ظهوراً بيناً حتى انك لترى في سفر اللاويين تقرير مبدإ يعدهُ مسيحيًّا محضاً وهو "حب قريبك كنفسك" هذا هو كلام الفيلسوف بجزوفهِ . ويلزم ان نوضح للقارىء الكريم نسبة الوقائع التي اشار اليها في تاريخ العبرانيين ليكون على بصيرة مما نقول

العبرانيون هم شعب اليهود . وكانوا يدعون قبلاً عبرانيين نسبة الى ابرهيم العبراني جدهم الاول . وقد دعوا يهوداً في ملك ارتزركسيس الفارسي قبل المسيح بخمسمئة سنة

وفي السنة الالفين قبل المسيح كانوا مجتمعين في شخص واحد هو يعقوب الملقب اسرائيل وقد حدث لهُ ولبنيهِ ما الزمهم ان ينزلوا الى مصر . وبقوا هنالك في المذلة والاضطهاد اربعمئة سنة . وبعدها خرجوا بقوة الله بواسطة موسى النبي وذلك سنة ١٥٠٠ قبل المسيح . وبقوا في حال البداوة اربعين سنة . ثم اجتاحوا ارض كنعان بقيادة يشوع الباسل وتمدنوا فيها ونشأت فيهم الحكومة الملكية . وظهر فيهم الكتّاب والشعراء . وكانت لهم وقائع مع الامم المجاورة معروفة في التاريخ . وفي اوائل القرن السادس قبل المسيح — في عصر كنفوشو

وثاليس — سبوا الى بابل وبقوا فيها اربعين سنة وسنة ٥٣٦ قبل المسيح رجعوا الى بلادهم . والى هذا اشار الفيلسوف بقوله " بعد ان قطع سبيهم الخ . "

فقد نص الفيلسوف ان عبارة " رحب قريبك كنفسك " كتبت بعد كل الحوادث التي اشرنا اليها بالاختصار من بداوة وحروب وسبي وسلام . وحقيقة الحال ان سفر اللاويين من كتابات موسى وهو متقدم على كل هذه الامور . فقد كتب نحو سنة ١٥٠٠ قبل المسيح . وذلك قبل رجوعهم من السبي بالف سنة . وقبل ظهور الشوكة الملكية بخمسمئة سنة . وقبلما فتحوا البلاد وقبلما ساروا في حال البداوة في البرية . اعني في اول خروجهم من مصر وهم تحت جبل سيناء في حدود مصر . وهذه العبارة وجدت في كتب شعب الله قبل سقراط الفيلسوف بالف سنة وقبل كنفوشو وليقيس الصينيين بسبعمئة سنة . وقبل زرادشت الفارسي بنحو سبعمئة سنة . وقبل تمدن الفرس واليونان والرومان والبابليين بثلاث من السنين

والمطالع اللبيب غني عن الحاجة الى القول اني لست اقصد بذلك معارضة الفيلسوف في قوله ان احوال كثير من الامم في هذه الايام قد تغيرت عن ذي قبل فأصبحوا اميل الى اللين بعد القسوة واللطف بعد الخشونة بفضل المبادىء الادبية التي نشرت بينهم ولاسيما مبادىء الغيرية التي بلغ من سبنسر انهُ صار يبشر بها . ومعلوم ان الذين نادوا بمبادىء الغيرية في البشر هم غير الفلاسفة . او بالحري هم فلاسفة غير هذا العالم الوهمي . فغرضي الخاص هو اصلاح ما أخطأ به بنسبته الغيرية الى عصر هو بعد عصرها باكثر من الف سنة تأييداً لرأيه

على انهُ قد ورد في التوراة قبل هذه الآية باكثر من الف سنة ما ينافي روح الشراسة وسفك الدم وهو قول الله لنوح " سافك دم الانسان بالانسان يسفك دمهُ لان الله على صورته عمل الانسان " وهذه العبارة تفيد انكار الاعتداء عند الاقوام الاقدمين

واقدم من هذه العبارة باكثر من الف سنة ورد ما يفيد انكار الاعتداء وانهُ ليس من الامور الموجبة للفخر . وهو حادثة قايين التي فيها اظهر الله غيظهُ ودينونتهُ على المعتدين . ولما تذلل قايين واتضع حدد تعالى كل من يمسهُ باذى بسبعة اضعاف من الانتقام

فلا يمكن ان شعباً هذه قواعدهُ الدينية يحب الاعتداء وسفك الدم من المفاخر . ولو فسح لي المجال لاوضحت من الكتاب القديم — التوراة — انكار الاعتداء والانتقام للذات . وان حروب اليهود لم تكن الاَّ من الحوادث السياسية التي يجري مثلها بين الدول المتجاورة اليوم

وغداً . فلا تورد دليلاً على توحشهم . وان العصر الذي كان سبنسر فيه لم يبلغ مبلغاً يحق لهُ عندهُ ان يهزأ بامة اليهود الذين كانوا ارباب دراية واخلاص في عصرهم اكثر من امم الممالك الموجودة اليوم . هذا ما رغبت في اثباته خدمة للحقيقة ولضمائر قراء المقتطف الكرام . مع احترامي حضرة الفيلسوف والناقلين عنهُ ومن حذا حذوهُ وحذوهم من رافعي لواء العلم وخادمي الحق والانسانية اصابوا ام اخطأوا والسلام

حمص حنا خباز

واعظ بروتستانت

[المقتطف] لو كان سبنسر حياً وقرأ ما كتبهُ حضرة الكاتب لشكرهُ ولاعتذر بأن علماء التفسير المعروفين الآن باصحاب " الانتقاد العالي " اتفقوا او كادوا يتفقون على ان التوراة لم تكتب قبل النبي بل بعدهُ فان كان هذا القول صحيحاً فلا غبار على كلام سبنسر وان لم يكن هذا القول صحيحاً اي اذا كانت اسفار موسى كتبت كلها قبل المسيح بالف وخمسماية سنة فيكون كلام سبنسر فاسداً . ويحسن بحضرة الكاتب ان يطالع ما كتب حديثاً في هذا الموضوع ولا سيما في سكلوبيديا التوراة وغيرها من كتب التفسير والانتقاد العالي

قبل الولادة وبعد الموت

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

اطّلعت على ما كتبتموهُ في هذا الموضوع وما كتبهُ احد الجزويت في جريدة المشرق التي يطبعها الجزويت في بيروت وقد استغربت جداً تحوّل جريدة المشرق وتحاملها عليكم ومحاولتها ان تلصق بالمقتطف تهمة لا اثر لها في ما كتبهُ في هذا الموضوع فانا قرأنا مقالتكم الاولى وردكم على المشرق انا وجماعة من اهل الادب ففهمنا مما قرأناهُ انهُ لم توجد حتى الآن ادلّة طبيعيّة محسوسة على اين تكون نفس الانسان قبلما يولد ولا على اين تذهب بعد ما يموت ولكن بعض الناس ادعوا انهم اكتشفوا الآن ادلة طبيعيّة تدلُّ على ذلك اي على اين تكون نفس الانسان قبلما يولد واين تذهب بعد ما يموت . ولكي لا يسيء احد فهم مقالتكم اعتقد ان العلوم الدينية المبنية على الالهام الالهي او على الاوهام والخرافات والعلوم الفلسفية المبنية على الشعور الداخلي تحلُّ هذه المسألة ولكن يحكم الآن ليس في ادلتها بل في ادلة العلوم الطبيعية

واسمحوا لي ان اوضح ذلك بمثل ذكرهُ احد الادباء الذين كنت اقرأ مقالتكم معهم وهو لنفرض ان زيداً سرق بيتاً فاتّهم خالداً بسرقته وشكاهُ الى المحكمة وادّعى انهُ عرف بالهام

المي ان خالدًا هو السارق واقام ادلة كثيرة على ان الله يوحي اليهِ احيانًا فان القاضي لا يقبل دعواهُ ولا يحكم على خالد بالسرقة . وكذلك اذا قال زيد انهُ عرف بشعور داخلي في نفسهِ ان خالدًا هو السارق وان هذا الشعور الداخلي صحيح وظلما كشف لهُ الغوامض فان القاضي لا يقبل دعواهُ ولا يحكم بموجبها . ولكن اذا اقام زيد ادلة طبيعية محسوسة على ان خالدًا هو السارق وذلك بانهُ اثبت وجود الامتعة المسروقة في بيت خالد واستشهد اثنين من الشهود العدول فشهدا وقالا اننا رأينا خالدًا يحاول فتح باب زيد ونهيناهُ عن ذلك فلم ينتهِ فسرنا في طريقنا وبعد نصف ساعة عدنا من ذلك الطريق فرأينا خالدًا خارجًا من البيت ومعهُ الامتعة التي يدعي زيد انها سرقت من بيتهِ فمضينا واخبرنا زيدًا بذلك . وسأل القاضي خالدًا كيف وصلت اليهِ هذه الامتعة فلم يستطع ان يقدم سببًا صحيحًا فان القاضي يأخذ بهذه الادلة المحسوسة ويحكم على خالد بالسرقة مع انهُ لم يأخذ بادلة الوحي ولا بادلة الشعور الوجداني لا لان ادلة الوحي غير صحيحة ولا لان ادلة الشعور الوجداني غير صحيحة بل لان القانون يضطرهُ ان يبني حكمهُ على الادلة المحسوسة او المستنتجة من امور محسوسة . ولو شعر القاضي ان وحيًا الهيًا نزل عليهِ يقول لهُ ان خالدًا هو السارق او لو شعر بوجدانهِ ان خالدًا هو السارق لما جاز لهُ قانونًا ان يحكم على خالد بالسرقة لمجرَّد اعتقادهِ صحة الالهام او صحة الشعور بل لا بدَّ لهُ من ان يبني حكمهُ على الادلة والقرائن المحسوسة

هذا واكرر القول اننا فهمنا من كلامكم ان بعض الناس يدَّعون الآن انهُ توجد ادلة عقليَّة طبيعيَّة يستدلُّ منها اين كانت النفس قبل الولادة واين تذهب بعد الموت وان ما ذكرتموهُ عن الفتاة متعلق بهذا الاستدلال فلم تذكروا ما تقولهُ الاديان ولا ما يقولهُ الفلاسفة ولم تتعرَّضوا لذلك لا بنفي ولا باثبات . ولم تشيروا الى ما يقولهُ الفلاسفة واصحاب الاديان الاَّ للفرق بينهُ وبين البحث الطبيعي الذي اشرتم اليهِ . فكما اننا لا ننكر الوحي اذا قلنا ان القضاة لا يأخذون بادلتهِ في احكامهم على الجانين ولا ننكر الشعور الوجداني اذا قلنا انهم لا يأخذون بهِ في احكامهم هذه كذلك لا ننكر الوحي ولا الوجدان اذا قلنا ان الادلة الطبيعيَّة العقلية تدل على ان الماء مركب من الاكسجين والهيدروجين وان ملح الطعام مركب من الكلور والصوديوم وان جسد الانسان يتحلل الى عناصرهِ بعد الموت ويدخل بعضها في بناء النباتات التي تنمو على رفاتهِ . ومن قال ضد قولكم او فهم منهُ غير ما فهمناهُ فهو مخيف العقل او فاهم ما فهمناهُ تمامًا ولكنهُ متحيِّل محاول مكابر

القاهرة احد المشتركين

[المقتطف] اننا نشكركم على ما بينتموهُ في رسالتكم من الشرح والتفصيل ولقد كنا نظن اننا اوضحنا مرادنا لكل القراء . فاذا وجدنا ان مرادنا لم يتجلَّ لواحد منهم فلا نلومهُ بل نلوم انفسنا لانهُ يجب على الكاتب ان يوضح مرادهُ حتى لا يبقى في فهمهِ ادنى التباس . وعسى ان يكون مرادنا قد اتضح الآن لحضرة مكاتب المشرق وهو هل توجد ادلة عملية طبيعية على وجود النفس وعلى المكان الذي تكون فيهِ قبل الولادة والمكان الذي تذهب اليهِ بعد الموت فان هذا هو المراد من مقالتنا التي موضوعها " قبل الولادة وبعد الموت " كما يظهر لكل من يعيد مطالعتها لا سيما وان بعض العلماء يدَّعون ان نفوس الموتى تبقى حول الاحياء تؤثر فيهم على طرق مختلفة واذا كانت دعاوي الفتاة المشار اليها صحيحة كلها ولم تعلل بتعليل آخر طبيعي فتكون دعوى هؤلاء العلماء صحيحة

ثم اننا نسأل مكاتب المشرق او محرر المشرق مسائل نطلب منهُ ان يرشدنا الى حلها وتقبل في حلها الادلة الكتابية او الفلسفية . وهي اين تكون نفس الانسان قبلما يتكون في بطن امهِ وفي اي وقت تدخل جسم الجنين وهل تكون حينئذٍ كاملة في كل مداركها والى اين تذهب بعد موتهِ . وعسى ان يكون كلامهُ في ذلك محدوداً كأن يحدد المكان الذي كانت فيهِ النفس والزمان الذي تدخل فيهِ جسم الجنين والمكان الذي تذهب اليهِ والوقت الذي تذهب فيهِ . ونود ان يكون تحديد المكان والزمان واضحاً جداً تدركهُ عقولنا القاصرة . ولنفرض ان المسؤول عنهُ صيني اسمهُ ليانسي او هندي اسمهُ جهوار او عربي اسمهُ مصطفى ولنطلب من حضرة الكاتب ان يجيب عن نفس واحد منهم بعينهِ

ولا يخفى علينا ان مسائلنا هذه تظهر من قبيل التعجيز ولكننا نؤكد لحضرة مكاتب المشرق اننا نودُّ ان نطَّلع على الادلة الكتابية او غير الكتابية التي يُلمّ بها اين كانت نفس هذا الرجل او ذاك قبل دخلت جسدهُ وفي اي وقت دخلت الجسد والى اين ذهبت بعد ما خرجت منهُ ونعطي جائزة عشرين جنيهاً لمن يكتب لنا مقالة في هذا الموضوع تملأ عشر صفحات من المقتطف على الاكثر وتقرُّ لجنة من كبار علماء القاهرة على انها وفت بالمطلوب وتستحق الجائزة ثم تنشر المقالة تحت اسم كاتبها ولا نعقّب عليها بكلمة واذا طلب منا ان نفرض رجلاً مخصوصاً فرضنا لهُ احمد باشا الجزار او الامير بشيراً الشهابي المعروف بالمالطي او يوسف بك كرم ليثبت لنا بالادلة الكتابية اين كانت نفس احدهم قبلما دخلت جسمهُ ومتى دخلت جسمهُ والى اين ذهبت بعد وفاتهِ